فوز أيلول
ألوان سوريا
العدد الحادي عشر 2013\10\1
وطن في الارض
و أخر في السماء
Manar Qanah

موزاييك
ألوان سوريا

السوريون أصحاب أقدم رسم جداري في العالم 4

متى يعي العرب أن الاعلام يخدم أكثر من الأسلحه؟ 10

شكري القوتلي 15

تطبيق الشريعه في المناطق المحررة 20

حقائق ملازمة لقوى الإسلام السياسي! 21

للتواصل مع فريق عمل موزاييك:

mosaic4sy@gmail
www.facebook.com/mosaic4sy
www.twitter/mosaic4sy
www.mosaic4sy.wordpress.com

تنويه:
المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي موزاييك ألوان سوريا.

بين قوة الإيديولوجيا و قوة المجتمع يضيع حق الفرد

عامر كيلاني

إنَّ الشمس التي أُشرقت في معظم «الأراضي» العربية صاحبةً معها الربيع العربي؛ لم تكن إلاَّ ناتج فساد سياسي، واقتصادي، وفساد المؤسسات العربية، أي أن «الشعب» أستيقظ من شتائهِ ليدخل مرحلة الربيع التي يتمنى أن يكون ربيع سرمدي. ولكن لنقف برهة ولنرى ما هو الربيع في رأي «المجتمع العربي»، وقد تحاشيت منذ قليل ذكر « المجتمع العربي» واكتفيت بقول «أراضي «و»شعب»، وقبل أن نرى ماهيّة الربيع العربي ودور المجتمع فيه، علينا فتح بعض الصفحات الفلسفية والنظر إليها؛ لأهميتها في فهم هذا الصراع وفهم ولو نظرياً ما تؤول إليه المجتمعات العربية.

لم يأتي «هيغل» بالفكرة التي منطقها وهي (الديالكتيك)–أي الجدلية-من العدم، كل ما فعله هذا الفيلسوف الصعب، هو تتبع حركة التاريخ، ولقد رأى أن التقدم في العالم هو عبارة عن صراع جدلي فلولا الجدل لن يكن هناك أي تقدم تطوري يقدم عليه العالم، ولكن الفكر (الهيغلي) هو الذي أسس أهم فيلسوف ماديّ وإيديولوجي وهو (كارل ماركس)، وهذا الأخير لم يخرج من الفكر (الهيغيلي) ولكن أكتفى بالقول (قلبت نظرية «هيجل» في تاريخ الفن رأساً على عقب)، أي جعل المادة والإيديولوجيا أساس كل شيء وهي أشياء ليست رمزية

ومن هنا تقريباً نبدأ بفهم الصراع الإيديولوجي وقد نفهم أيضاً إحدى أسباب تلك الصراعات وأهمها وهي الحرب العالمية الثانية وما بعدها أيضاً، وبما أن الصراع الذي كان صراع إيديولوجيات بحت، فقد ضاع حق الفرد الذي هو أساس كل شيء موجود من إيديولوجيات ووجود، فضياع الفرد هذا خلق فلاسفة رأوا بأن الفكر (الهغيلي بشكل عام، والماركسي بشكل خاص) يضيّع الفرد وينفي حقه في الوجود.

ولو سألنا أنفسا على موجب ما ذُكر، أين حق الفرد من هذا الصراع الجدلي الإيديولوجي؟ لكان الجواب هو: التيه.

ولهذا فكر كل من (سورين كيركيغارد، وفردريش نيتشه، ومخائيلفتش ديستويفسكي، ومارتن هايدغر، وجان بول سارتر) بحق الفرد وممارساته الحُرّة، أي أن الفرد ليس مجرد رقم يُعد فقط بل أنه رأس كل شيء هرمياً أو أي شكل هندسي.

وحين نفكر بدور الفرد العربي في المجتمع العربي فقد نراه بأنه محكوم من طرفين –ازدواجية –، حكم الإيديولوجيا وحكم المجتمع، والثانية هذه أصعب من الأولى لأن حكم المجتمع يمكن أن يقضي على الإيديولوجيات السياسية أو غيرها بطرق شتى ومنها «الربيع العربي» كما نرى من مجريات الأحداث الآن. ولكن أين حق الفرد من المجتمعات الذين يمارسوا الدكتاتورية من دون أي اكتراث للفرد، فالذي يحكم الفرد هو مجتمع قبائلي أو منبري أو عائلي. عن طريق العادات والتقاليد التي لا يرى-أي الفرد-فيها سوى ممارسات عبثيه لتمجيد الماضي، ويرى المجتمع في حرية الفرد من نظرهم وإطارهم، بأن له الخيارات المفتوحة ولكن ضمن الإطار الذين يحددوه هم، وليس له أي ممارسات خارج هذا الإطار. وإن صح التعبير ونعت هذا المجتمع فقد تصلح له هذه التسمية، (أوتوقراطية المجتمع) الذي يحكم من دون أي دستور أو تشريعات، فقط تكتفي بعاداتها وتقاليدها بأن تكون هي سيدة الأحكام.

وهنا يأتي تشبيه (فردريك نيتشه) عن القوة المسيطرة

«ليست إدارة الحق في عُرفكم أيها الحكماء إلا تلك القوة التي تحفزكم وتضطرم فيكم، تلك هي إرادتكم التي أسميها أنا ((إرادة تصور الوجود)) فإنكم تطمحون إلى جعل كل موجد خاضعاً لتصوركم، وأنتم تحاذرون بحق أن يكون هذا الوجود قد أحاط به التصور من قبل فتريدون أن تخضعوا لإراداتكم كل كائن لتتحكموا فيه بالصقل ليصبح مرآة تنعكس عليها صورة العقل.»

السوريون أصحاب أقدم رسم جداري في العالم

إسهامات و إبداعات الشعب السوري الأصيل والعريق في بناء الحضارة الإنسانية لا تتوقف فقط عند اختراع أول أبجدية مسمارية في العالم بل برزت إبداعاته في ميدان الفن التشكيلي منذ الزمان الغابر.

فالسوريون هم أصحاب أقدم رسوم جدارية مكتشفة إلى الآن في منطقة الشرق الأوسط وأقدم رسم على جدار مبني بواسطة الإنسان في العالم ينسب تاريخه إلى العصر الحجري الحديث أي حوالي ١١ ألف عام نهاية الألف العاشر، بداية الألف التاسع قبل الميلاد مما يؤكد آثارياً أن ظهور العصر الحجري الحديث في منطقة الشرق الأوسط وبالتحديد في شمال سورية قد سبق ظهوره في أوروبا.

والرسم و التلوين هي المرحلة التي سبقت ظهور الحساب و إختراع الكتابة كما يقول الدكتور محمود السيد نائب مدير المخابر في المديرية العامة للآثار والمتاحف وقارئ النقوش الكتابية «مسمارية، هيروغليفية، أبجدية» لافتاً إلى أن أقدم رسوم جدارية مكتشفة في العالم حتى الآن عُثر عليها في أحد عشر موقعاً في كهوف جبل يقع في سان كارلوسفي ولاية تاماوليباس في شمال شرق المكسيك.

ويضيف السيد أن عدد هذه الرسوم الجدارية يقدر بنحو ٤٩٢٦ لوحة رسمت على الأرجح قبل نحو أربعين ألف سنة وتلي هذه الرسوم في القدم الرسوم الجدارية المكتشفة في مغارة شوفيه في جنوب فرنسا والتي ينسب تاريخها إلى ٣١ ألف سنة «العصر الأورينياسي ٢٩/٣٧ ألف سنة» ثم رسوم مغارة كوسكيه في مارسيليا في فرنسا وتؤرخ الرسوم الجدارية المكتشفة فيها في الفترة الواقعة مابين ١٩/٢٧ ألف سنة ثم تؤرخ رسوم مغارة لاسكو في شمال فرنسا بنحو ١٧/١٨ ألف سنة.

وبينت الاكتشافات الأثرية ايضا رسوم مغارة ألتاميرا في سانتيانا ديل مار في إسبانيا والتي تؤرخ في الفترة الواقعة مابين ١٣٥٠٠-١٥٥٠٠ سنة و رسوم مغارة توكيبال جنوب البيرو التي تؤرخ في الفترة الواقعة مابين ١٢-١٠ آلاف سنة.

ويضيف الدكتور السيد أن هذه التواريخ حُددت وفقاً للنتائج المستخلصة من تحليل الكربون ١٤ سي موضحاً أنه لاتوجد لوحات جدارية في عمق المغارة أو الكهف في العصر الحجري الأوسط والعصر الحجري الحديث ولكن فقط داخل أو أعلى الجدران الخارجية أو أعلى الكهف. ويؤكد السيد أن أقدم استخدام للألوان في ديكور وتزيين المنازل في سورية اكتشف في موقع تل المريبط الأثري في منطقة حوض الفرات الأوسط فقد طليت دعائم أحد المنازل المكتشفة في هذا الموقع بالأسود على خلفية بيضاء ينسب إلى العصر النيوليتي ماقبل الفخاري

أما أقدم الرسوم الجدارية المكتشفة في سورية وفي العالم فوجدت على جدار أحد المنازل في موقع تل جعدة المغارة على الضفة اليسرى لنهر الفرات شمال سورية في عام ٢٠٠٢ وتعود هذه الرسوم على الأقل إلى نحو ١١ ألف عام وفقاً للنتائج

المستخلصة من تحليل الكربون ١٤سي لتأريخ بالكربون المشع لافتاً إلى أن موضوع الرسوم هندسي فقط لا تصور أشخاصاً أو حيوانات و قد لونت بالأبيض و الأسود والأحمر والأصبغة المستخدمة مصنوعة من حجر الهيماتيت للون الأحمر وحجر الجير الأبيض للون الأبيض والكربون الفحم للون الأسود.

كما عثر في موقع تل حالولة الأثري في منطقة الفرات الأوسط في عام ١٩٩٧ على مجموعة رسوم في أرض إحد المنازل تنسب الى العصر النيوليتي ماقبل الفخاري الوسيط تؤرخ في الفترة الواقعة مابين ٨٨٠٠-٨٥٠٠ عام قبل الميلاد وتمثل الرسوم ثلاثاً و عشرين إمرأة مرتبة بعناية و موزعة حول مربع و قد رسمت بالطلاء الأحمر الداكن على أرضية من الجير أو الكلس غطت الجزء الرئيسي من المنزل وهذه الرسومات تمثل أقدم رسم لإنسان معروف في منطقة الشرق الأوسط وتبرز دور المرأة السورية و إسهاماتها في بناء أسس الحضارة و المجتمع منذ أن ظهرت التجمعات الزراعية البدائية الأولى.

وبين السيد أنه اكتشف في موقع تل بقرص الأثري الواقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات في أرض أحد بيوت الموقع البيت رقم ١٧ رسم باللون الأحمر لطيور النعام أو الكركي على خلفية بيضاء ينسب إلى العصر النيوليتي ماقبل الفخاري الحديث ٩-٨ آلاف سنة وعثر على جدار أحد المنازل نحت وجه لإنسان من الطين مطلي باللون الأحمر /مسحوق أكسيد الحديد/ كما استخدم الصباغ في طلاء بعض الجماجم في تل أسود في ريف دمشق كنايةً عن «طقوس جنائزية».

ويشير السيد الى أنه مع تطور مفهوم الحضارة و نشوء المدن استخدمت الرسوم الجدارية في تزيين المنازل والقصور والمعابد وأهم هذه الرسوم هي تلك التي أكتشفت في موقع «تل الحريري» الأثريمملكة ماري في قصر الملك «زمري ليم» فهي تمثل عناصر فنية مختلفة

و تجسد براعة الفنان السوري وكفاءته و تبرز التطور الفني الذي شهدته سورية خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

يضيف السيد: «يلاحظ في هذه الرسوم الاهتمام بصورة الملك والإله وغالباً ما ترتبط رمزياً مع الحيوانات التي تأخذ النصيب الأكبر من الرسوم الجدارية كما تجسد الإنسان و النبات كذلك تصور مشاهد الأضاحي و تنصيب الملك»، مشيراً إلى أن هذه اللوحات تمثل أقدم رسم جداري يجسد مشاهد الأضاحي و تقديم القرابين من الماء والنار كما أن الرسم الجداري الذي يتناول موضوع تنصيب الملك يمثل اللوحة الأقدم في منطقة الشرق القديم التي تصور مشهد تنصيب الملك بمباركة الإلهة «عشتار» التي تملك السلطة والنفوذ وينسب تاريخ اللوحة إلى الفترة الواقعة مابين ١٨٢٠-١٨٠٠ قبل الميلاد.

ونوه السيد إلى أن اللوحة كانت قبل عملية التنظيف والترميم متأثرة ومتضررة كثيراً و قاتمة اللون بفعل الحريق الذي أصاب قصر «زمري ليم» أثناء غزو حمورابي ملك بابل لمملكة ماري وتدميرها نحو عام ١٧٦٠ قبل الميلاد.

ويوضح السيد أن هذه الرسوم تؤرخ بداية فصل جديد من فصول تاريخ فن الرسم والتلوين في منطقة الشرق القديم ألقى بتأثيره على شكل وعناصر الرسوم الجدارية التي زينت بها جدران المعابد والقصور الملكية الآشورية خاصة خلال العصر الآشوري الحديث وخير مثال على ذلك الرسوم المكتشفة في تل أحمربارسيب.

وفي العصر الهلنستي والروماني شكلت سورية محطة بارزة في تاريخ فن الرسوم الجدارية وبشكل خاص اللوحات الجدارية التي أكتشفت في موقع دورا أوروبوس في منطقة الفرات الأوسط جنوب شرق سورية على بعد ٣٥ كم من الحدود السورية العراقية.

ويؤكد السيد أنه نظراً للأهمية العالمية التي تختص بها الرسوم الجدارية المكتشفة في سورية والعائدة إلى مختلف العصور التاريخية وضعت المديرية العامة للآثار والمتاحف «مديرية المخابر الترميمية والعلمية الأثرية السورية» خططاً لترميم وحفظ ونشر مضمون هذه الرسوم ذات القيمة الفنية الفريدة والتي تشكل جزءاً من التراث الثقافي العالمي.

وباشرت المديرية منذ عام تقريباً بدراسة وتوثيق وترميم الرسوم الجدارية المكتشفة في دورا أوروبوس وقارا وقصر الحير الغربي كخطوة أولية سيتبعها عقب الانتهاء من المشروع الأول عملية الدراسة والتوثيق والترميم لكافة الرسوم الجدارية المكتشفة في مختلف المواقع الأثرية السورية «تل ممباقة، تل حلاوة، تل السويحات، تل سكا، تل الشيخ حمد، تل أحمر، دورا أوروبوس، تدمر،مصياف، أفاميا، قصر الحير الشرقي والغربي، دير مار موسى الحبشي، دير مار يعقوب».

مديرية التنقيب تؤرشف رقمياً وثائق أعمالها في المواقع الأثرية

دأت مديرية التنقيب في المديرية العامة للآثار والمتاحف منذ شهر آذار ٢٠١٣ عملية أرشفة رقمية لكامل وثائقها المتعلقة بأعمال التنقيب في جميع المواقع الأثرية على امتداد الأرض السورية، وأنهت مؤخراً أرشفة ٨٠٠ ملفاً تتضمن كافة الوثائق الخاصة بأعمال التنقيب في محافظة حمص، وفق منهجية علمية تعتمد تصنيف الأعمال إلى موسمية وطارئة وأعمال مسح أثري.

وتعمل كوادر مديرية التنقيب حالياً على أرشفة وثائق أعمال التنقيب في مواقع محافظة حماة، تمهيداً لإنجاز أرشيف رقمي كامل لجميع ملفات ووثائق مديرية التنقيب، بما يضمن حمايتها وسهولة الوصول إلى المعلومات دون الرجوع للملفات الورقية، وإجراء إحصائيات دقيقة للمواقع الأثرية المنقبة والممسوحة وفق الفترات التاريخية.

اكتشاف مدافن محفورة بالصخر في شارع الثورة باللاذقية

ظهرت أعمال التجريف التي قامت بها شركة البناء والتعمير في منطقة سكن الشباب في شارع الثورة باللاذقية، وجود مدفن أثري، تبين لدى التنقيب أنه محفور بالصخر ويتألف من غرفتي دفن، وقد كشفت دراسة اللقى الفخارية التي يضمها أنه يعود إلى عصر البرونز الوسيط.

كما أوضح الكشف في المكان وجود مجموعة مدافن أخرى، منهوبة سابقاً، تظهر اللقى الفخارية فيها أنها تعود إلى عصر البرونز القديم.

ويشير اكتشاف منطقة دفن في هذا الموقع إلى وجود استيطان مهم يعود إلى خلال عصري البرونز القديم والوسيط.

تعديات كبيرة على مواقع أثرية بمنطقة خناصر في حلب

تعاني المواقع الأثرية في منطقة خناصر من انتهاكات وتعديات واسعة النطاق، ناتجة عن أعمال الحفر والتنقيب غير المشروع فيها، وفق تقرير لمديرية آثار حلب.

ويصعب تحديد طبيعة وحجم الأضرار التي طالت هذه المواقع بسبب تعذر الوصول إليها إلى الآن.

كما بينت المعلومات أن مجموعة مسلحة من لصوص الآثار نزعت وسرقت لوحة الفسيفساء الموجودة داخل الكنيسة في موقع الدير الأثري، واعتدت على الحارس هناك.

لجان مشتركة لتنظيم أعمال ترميم المباني والبيوت في مدينة حلب القديمة

بهدف الحفاظ على النسيج الأثري لمدينة حلب القديمة وترميمه وإعادة تأهيله، تسعى مديرية آثار حلب إلى تشكيل لجان متخصصة ومشتركة مع مجلس المدينة والمحافظة لإحداث مركز باسم «خدمة المواطن» يعمل على وضع ضوابط تكفل حماية وإنقاذ مباني حلب القديمة من التعديات العمرانية ومحاولات البعض استغلال الوضع للمساس بها، إضافة إلى تسهيل إصدار الرخص لدفع المواطنين إلى ترميم البيوت في حلب القديمة تحت إشراف مديرية الآثار، علماً أن جانباً كبيراً من حلب القديمة قد تعرض لأضرار وتدمير بسبب الاشتباكات في المنطقة.

كما تسعى مديرية آثار حلب إلى تشكيل لجان مشتركة مع المحافظة وكليتي الهندسة المعمارية والمدنية وقسم الآثار ونقابة المهندسين، لتنظيم دورات تدريبية مكثفة لمهندسيها وآثارييها، بهدف تعزيز خبراتهم الميدانية وتقوية تواجدهم على الأرض مستقبلاً في مرحلة ما بعد الأزمة.

أعمال تنقيب غير مشروع في بعض المواقع الأثرية

فادت معلومات واردة من دائرة آثار دير الزور أن أعمال التنقيب غير المشروع والنهب والتدمير لا تزال مستمرة في موقعي ماري ودورا أوروبوس وغيرها من المواقع الأثرية في المحافظة، إذ أن محاولات أبناء المجتمع المحلي في هذه المواقع لم تنجح للأسف في الحدّ من الحفريات وأضرارها.

كذلك يستمر النزيف وبنفس الحدة في موقع تل الأشعري والمواقع الأثرية على امتداد وادي اليرموك في محافظة درعا، وفق تقرير لدائرة الآثار هناك.

بالمقابل، يشهد موقع بصرى الأثري هدوءاً، وتبدو الأمور مستقرة نسبياً فيه منذ فترة غير قصيرة.

أما في إدلب، فتشير المعلومات إلى انخفاض ملحوظ في محاولات التنقيب والحفر في موقع إيبلاالأثري بفضل جهود أبناء المجتمع المحلي في المنطقة، وإلى استقرار الوضع في مواقع جبل الزاوية المدرجة على لائحة التراث العالمي مثل موقعي البارا وسرجيلا وغيرها، نتيجة التعاون بين كوادرالمديرية العامة للآثار والمتاحف والسكان المحليين الذين يقطنون في الكثير من هذه المواقع، والذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية حمايتها من أية أضرار يمكن أن يسببها لصوص الآثار والمخربون

نداء للحكومة المؤقتة بشأن الحفاظ على التراث السوري

في أول خطاب للحكومة السورية المؤقتة برئاسة السيد « احمد طعمة» وجه السيد أحمد الراوي، ماجستير في علم الآثار- ألمانيا نداء عاجل لحكومة لمواجهة نزيف الأثار الذي تعاني منه سوريا بعد ثلاثة أعوام على أندلاع الثورة السورية جاء فيه»

الأستاذ أحمد طعمة، رئيس الحكومة السورية المؤقتة المحترم

تحية طيبة

لا تخفى عليكم أهمية موضوع حماية الآثار أو الممتلكات الثقافية للشعب السوري والتي تضررت خلال السنتين ونصف الماضيتين عما قبل بشكل كبير جراء استخدام النظام للمواقع الأثرية كأهداف لضربات جيشه او كمقرات عسكرية لدباباته وكأماكن لخطوط التماس والاشتباك مع قوى الثورة والمعارضة المسلحة، مثل ما حصل في حلب القديمة وخاصة سوقها الأثري وجامعها العتيق.

هذا فضلا عن غض النظام الحاكم في دمشق النظر عن الحفرالغير شرعي أو مشاركته الغير مباشرة فيه (عبر جنوده و مرتزقته) في التلال الأثرية التي لازالت تقبع تحت سيطرته أوربما تهريب بعض نفائس المتاحف ومستودعاتها عبر لبنان والعراق (أنباء غير مؤكدة)، مما يعرضه للمساءلة القانونية لعدم تطبيقه قانون الآثار السوري لعام ١٩٩٩.

لكن تضرر الممتلكات الثقافية السورية استمر أيضا في واقع الأمر للأسف في المناطق المتحررة من سطوة النظام ولا سيما في محافظات دير الزور والحسكة والرقة وحلب وإدلب وحماة ودرعا، حيث نتابع من وقت لآخرتقاريروأفلام تسجيلية عن عمليات تخريب وتنقيب غير شرعي للكثير من التلال الأثرية الواقعة تحت سيطرة الجيش الحر والكتائب المقاتلة هناك ومنها تل الحريري (مملكة ماري) و تل شيخ حمد (دور كاتليموا) و الصالحية (دورا أوروبوس) وقلعة الرحبة ومحيطها وغيرها الكثير من الأماكن الأثرية الواقعة على امتدادات ضفاف أنهار الفرات والخابور والبليخ أو تلك المتواجدة في محافظتي حلب وإدلب مثل تل مرديخ (إيبلا) والمدن المنسية وغيرها...

إن عدم حماية الممتلكات الثقافية السورية فضلا عن كونه يعد خرقا للمعاهدات الدولية بشأن تلك الحماية في حالات الحرب أيضا، يعد خسارة إنسانية للأجيال القادمة لا تقدر بثمن، فكون أن تلك الممتلكات لا تساهم فقط في تنمية الوعي الجمعي الوطني لأبناء الشعب السوري بكافة أطيافه فحسب، بل ستُحرم الأجيال القادمة بذلك فرصة استثمار واكتشاف وإلقاء الضوء على تلك المخلفات المادية بشكل علمي ممنهج و التي ساهمت بوضع لبنات رصينة في بناء التطور الحضاري الإنساني.

فضلا عن ذاك يعد عدم حماية التراث الإنساني خسارة مادية وطنية جسيمة بامتياز حيث تعد الآثار بمثابة الثروة المستدامة والغير مكلفة، فتحرم بذلك الأجيال القادمة من فرصة التنمية البشرية عبرالاستثمار السياحي (فرص عمل، استجلاب عملة صعبة للوطن) من خلال إقامة المعارض وتهيئة المواقع الأثرية للزيارات السياحية.

على الرغم من ان النظام السوري بصفته متسيدا على الدولة السورية والموقعة أصلا على إتفاقيات و بروتوكولات حماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح كاتفاقية لاهاي ١٩٥٤ و بروتوكولها الثاني (١٩٩٩) و اتفاقية باريس ١٩٧٠ فهو يتحمل المسؤولية القانونية الكبرى عما حصل من تخريب أو إفناء أوتشويه لتلك الممتلكات بما فيها المدن الأثرية كتدمر وبصرى والقلاع الأثرية كقلعة الحصن و شيزر و المضيق و المرقب و فخرالدين المعني و غيرها من مقتنيات بعض المتاحف السورية، على الرغم من ذلك فإن الأمر الواقع حاليا في المناطق المحررة بانعدام تواجد السلطات الأثرية النظامية من حراس ومفتشين، فضلا عن ضعفها تجاه ممارسات النظام بحق التراث الإنساني حتى قبل انبثاق الثورة في آذار ٢٠١١، و كون وقوع الكثير من تلك الممتلكات الحضارية السورية من متاحف وقلاع وتلال أثرية تحت سيطرة المعارضة وقواها المسلحة فإن تلك المسؤولية القانونية والأخلاقية تجاه ذلك

التراث تنسحب أيضا عليها.

إنه من الواجب تجاه قوى المعارضة الممثلة في الإتلاف وقوى الجيش الحر والكتائب المقاتلة الأخرى وحتى المجالس المحلية أن تقوم بتعبئة الفراغ الحاصل، الضعيف أصلا، والقيام بحماية تلك الممتلكات والحفاظ عليها وذلك من خلال بعض المقترحات التالية عليها وعلى الحكومة المؤقتة التي تقودونها:

- ضرورة توصية وضع موضوع حماية الممتلكات الثقافية السورية والتي تعد بمثابة الأمانة الملقاة على عاتق القوى المعارضة في لقاءاتها واجنداتها وبرتوكولاتها وبياناتها كقضية هامة تخص هوية الشعب السوري.
- ضرورة العمل على فتح هيئة أو مكتب لحماية التراث الإنساني في الحكومة المؤقتة للإتلاف الوطني إضافة للمكاتب أو الوزارات الأخرى الإغاثية والعسكرية والطبية وغيرها.
- ضرورة التواصل مع قادة القوى المتواجدة على الأرض في المناطق المحررة بكافة السبل ووضع خطة توعية بأهمية حماية التراث الى جانب تحقيق تطلعات الشعب السوري الأخرى بالعمل على توظيف حراس (يفضل أن يكونواعسكريين) برواتب مشجعة تقوم على حماية التلال الأثرية وغيرها من الممتلكات الثقافية من العبث بها.
- ضرورة ضبط المعابر الحدودية ومصادرة القطع الأثرية المهربة وتوثيق التحقيق مع مهربها ما أمكن والتنسيق والتواصل بهذا الشأن مع المنظمات العالمية ومنها اليونسكو والإنتربول و ووزارت الداخلية في الدول المجاورة.

و يفضل كخطوة أولى إقامة دورات تدريبية تشجيعية لممثلين عن الجيش الحر والمجالس المحلية وأكاديمين لديهم رغبة في العمل في هذا المجال، حيث يقترح أن تقام تلك الدورات على الحدود التركية السورية ويحاضر فيها آثاريون مختصون وممثلون عن الأنتربول واليونسكو ووزارة الداخلية التركية..

أرجو أن يلقى هذا الموضوع مكانا في جدول أعمال حكومتكم الوليدة و أعمال الإتلاف الذي تمثلونه.

مع اطيب التمنيات بنجاح حكومتكم لما فيه خير الإنسان والوطن في سوريا

الراحل مصطفى العقاد متى يعي العرب أن الاعلام يخدم أكثر من الأسلحة؟

في تقديمه لفيلمه عن صلاح الدين الأيوبي، وهو الفيلم الذي لم يرَ النور، قال المخرج الكبير الراحل مصطفى العقاد: «إن صلاح الدين الأيوبي هو أنسب شخصية نقدمها الآن للغرب لتتحدث باسمنا أو بالنيابة عنا، لأن الغرب والأميركان يتحدثون عن الإرهاب الديني. وما دام الأمر كذلك، فإنني أريد أن أقول لهم: وهل هناك أكثر من الحروب الصليبية التي كانت مثالاً للإرهاب الديني والتي لم نجد رغم حدوثها من يتهم المسيحية بالإرهاب؟!».

ومن المعروف أن العقاد قد اغتالته يد الإرهاب العمياء التي ضربت العاصمة الأردنية عمان في مطلع شهر تشرين الثاني من عام ٢٠٠٥، بعد أن حقق هذا المخرج انتصارات فنية ثقافية على مستوى العالم للقضايا العربية والإسلامية تجسدت في فيلميه العالميين «الرسالة» و«عمر المختار» واللذين قدم من خلالهما أبهى صورة للإسلام وللنضال العربي ضد الاستعمار الأجنبي.

فيلم «الرسالة» الذي اشترت منه وزارة الدفاع الأميركية مائة ألف نسخة لعرضها على الجنود الأميركيين قبل إرسالهم إلي الحرب الأفغانية، وفيلم «عمر المختار» الذي طرح صورة المناضل العربي المسلم الذي يدافع عن قضية أرضه ولا يقبل بأي شكل من الأشكال أي مساومات عليها ويدفع حياته ثمنا لهذا النضال المشروع ضد الاحتلال الذي نكل بشعبه بأشد صنوف التعذيب، في قصة تروي للعالم كيف يكون النضال بشرف وأخلاق.

لماذا صلاح الدين؟

إن الحال العربي الإسلامي اليوم هو الذي جعل من شخصية صلاح الدين هاجس هذا المخرج العالمي الكبير، ليوجه صدمة مزدوجة للعالم الغربي بشكل عام حينما يقول لهم: «إن الحروب الصليبية قد هدمت الكنائس وقتلت الرهبان، ولم تفرق بين مسلم ومسيحي، وأحرقت المدن؛ في حين أن شخصية صلاح الدين الأيوبي أبرزت شهامة القائد المسلم، ونبل أخلاقه والتي يعرفها الغرب أكثر مما نعرفها نحن في إسقاط رائع لهذه الشخصية للأحداث المعاصرة التي نعايشها اليوم.

ومن جانب آخر فإن إسقاط هذه الصدمة سيكون على الجانب العربي الإسلامي

ولكن ضمن إطار التوحيد والتنظيم وبنذ الخلافات، وهي أشبه ما تكون بصدمة يحتاجها الغافل ليعود إلي وعيه».

لقد كان العقاد يرى أن الفن العالمي بإمكاناته الكبيرة يجب أن يخدم قضايا العروبة والإسلام، وأنه وجد لنفسه في هذا الاتجاه سبيلاً، بدلاً من أن يقدم الأفلام الفارغة المضمون والأفكار. ولكن يد الإرهاب لم تمهل العقاد أن يتابع تحقيق أحلامه لإخراج القيم العربية الإسلامية إلى العالم منذ الرسالة إلى عمر المختار، فصلاح الدين الأيوبي، فرؤيته لمناضلي الشيشان، وامتداداً لتاريخالأندلس العريق عبر الحكم الإسلامي العربي هناك.

العقاد قال: «إننا ننفق عشرات المليارات على شراء الدبابات، والطائرات، ولم نرَ إلى الآن رصاصة واحدة توجه إلى أعدائنا! رغم أن عشر هذه الميزانيات كافية لتحقيق المعجزات، إن الحرب الآن هي حرب إعلامية بالأساس، ولكننا للأسف نكتفي بالكلام بيننا وبين أنفسنا، ولا نحاول أن يصل صوتنا للعالم، ولا نحاول أن نقدم للعالم صورتنا الحقيقية، ونترك اليهود الذين يسيطرون علي السينما الأميركية يقدمونا كما يريدون!».

ويوضح العقاد هؤلاء هم المتحكمون؛ لأنهم يمسكون هوليوود من عصبها وهو المال ويجيدون السيطرة عليها مالياً، لا إبداعياً، نحن لسنا بحاجة إلى دبابات وطائرات لتغيير تلك الصورة البشعة التي التصقت بنا نحن المسلمين، ولكننا في حاجة إلى استخدام السلاح الذي يستخدمه اليهود وهو الإعلام.

بهذا يرى العقاد حاجتنا كعرب ومسلمين لإقناع العالم بأننا لسنا إرهابيين، وأمام السيطرة الصهيونية على هوليوود كان العقاد وفي أكثر من مقام يتساءل دائما عن التمويل الإسلامي لثقافة الإعلام الإسلامي المعتدل، ويقول: «إننا نريد أن ننتهج الأسلوب الصهيوني الذي يدس السم في العسل، ولكننا في إعلامنا سنكون مختلفين فيما نقدمه، لأننا سندس الرحمة والحب الذين يحملهما إسلامنا في العسل».

رسالة عالمية

يقول العقاد: «عندما خرجت من سورية لم أكن أشعر أن العرب يعيشون في أزمة، كنت صغيراً، وفي كل يوم كنت أسمع الخطب الساخنة والرنانة من المسؤولين والرؤساء. لكنني عندما وصلت إلى هوليوود و وجدت الصلابة والنظام والتخطيط والعمل واستمعت إلى وجهات نظر الناس، أدركت أن العرب يعيشون في مشكلة كبيرة، وظل ذلك يلازمني حتى ترسخت قدماي في هوليوود، وطوال الوقت كنت مدركاً أنه علي القيام بعملية بحث حقيقية عن الأدوات والسبل التي تمكنني من خدمة عروبتي وتمسكي بها وبتاريخها، وهو ما تفرضه جذوري وانتمائي».

هذا هو العقاد الذي قُدِّر أن تغتاله يد الغدر تحت غطاء الإسلام البريء منها، فلماذا يا ترى كان هذا المصير بانتظاره؟

إن وجود مثقف عربي مسلم واعٍ بما يدور حوله من مستجدات الأحداث قارئ متعمق في التاريخ، وفي نفس الوقت ذا مكانة في أخطر أوجه الإعلام العالمي «السينما» يعتبر مكسباً حقيقياً للفكر الإسلامي المعتدل، ولهذا كان لابد ليد الغدر أن تطاله لتكسر سلاح الإسلام في وجه قتل الأبرياء من أجل الإسلام! إن أهم ما يميز العقاد أنه مخرج ينظر إلى الإبداع من زاوية العالمية، وأن الإبداع هو الإبداع أينما كان وأينما تواجد، مؤكداً دائماً أن التقنية لها دور في العالمية، وليس في مفهوم الإبداع.

لقد كان العقاد يؤمن برسالة المبدع وحاجة الجمهور إلى هذه الرسالة وكيف تؤدى، وكيف ترتقي بالجمهور من مستوى تفكير

معين إلى مستوى أعلى وأكثر نضجاً، وهذا هو الهم الذي حمله العقاد لسنين طويلة في هوليوود، وهو يعمل لأجل أن تكون رسالته عربية إسلامية الملامح لأنه يرى أن دوره في معركة اليوم من الأهمية بمكان بما يجعله يرى أن السلاح القادم الوحيد في هذا العصر هو الإعلام.

يقول العقاد: «هذه الأفلام التي قدمتها ترضيني وتخدم القضية، فالحمدللّه أني لست محتاجاً، لأنني لو احتجت فسأتنازل عن قناعاتي، وأقدم أي عمل لأعيش منه أنا وأولادي، وما يزعجني أحياناً أنني حين أطلب تمويلاً يتهيأ للبعض أنني أشحذ، أو عندما أجري أي مقابلة يعتقدون أن الهدف منها الحصول على تمويل، يجب أن يعي العرب أن الإعلام يخدم أكثر من الأسلحة».

هذا هو العقاد، وهذا هو فكر العقاد، وهذا هو إبداع العقاد الذي سال دماً من أيد خبيثه اغتالت إبداعه الذي لم يكن يوماً إلا لخدمة القضايا العربية والإسلامية ورحلت أحلام العقاد برحيله.

صديقي الأخير فيلم جود سعيد في دار الأوبرا مع لمسة دفا

أستمراراً لحملة المبادرات الإنسانية والتنموية والإغاثية، ودعماً لحملة «من حقي أتعلم» التي تقوم بها مبادرة «لمسة دفا»، عُرض بالتعاون مع الأمانة السورية للتنمية الفيلم السوري «صديقي الأخير» للمخرج جود سعيد وذلك في القاعة الكبيرة بدار الأوبرا السورية.

وفي افتتاح الفيلم الذي يعود ريعه لحملة «من حقي اتعلم» قالت نيلي نيرو من مبادرة «لمسة وفا»: «نتمنى من هذه الحملة أن تكون الحياة هي الصديق الأخير في سورية وليس الموت، ونحن في «لمسة وفا» دائماً نربط الحق بالواجب، ولم نصل إلى مانحن عليه إلا بجهود مئات الأشخاص وإيمانهم بصدق مبادرتنا التي جاءت بعد الكثير من الخطوات التي قام بها كثيرون قبلنا».

وقالت وفاء وقاف إحدى سيدات «لمسة وفا» في تصريح لسانا: «دخلنا في شراكة مع الأمانة السورية للتنمية في حملتهم، وهي حملة تهدف إلى تسهيل عودة التلاميذ من الصف الأول إلى البكالوريا لمدارسهم التي حرمتهم الظروف من الالتحاق بها، لأنه من حق هؤلاء التلاميذ علينا أن نعيدهم إلى مقاعد الدراسة باعتبارهم أملنا في المستقبل الذي تنتظره سورية الحديثة».

أضافت وقاف: «تتضمن هذه المبادرة التي هي استمرار للمبادرة التي قمنا بها العام الماضي بعنوان «مدرستي أحلى» كل ما يلزم هؤلاء التلاميذ من لباس مدرسي وقرطاسية بشكل عام، إضافة إلى إقامة دورات تقوية في كل المواد للطلاب الذين يعانون ضعفاً في بعض المواد الدرسية».

وتطرح أحداث الفيلم الذي استمر نحو الساعتين قضية الهوية من خلال تقديم قراءة اجتماعية وسياسية لبنية المجتمع السوري انطلاقاً من قصة انتحار الطبيب خالد الذي جسد شخصيته الفنانعبد المنعم عمايري، حيث تبدأ أحداث الفيلم في يوم رأس السنة مع عودة المحقق العقيد يوسف الذي قام بأداء شخصيته الفنان عبد اللطيف عبد الحميد إلى دمشق بعد فترة طويلة من الغياب ليعاود اكتشاف حياة صديقه الطبيب خالد الذي انتحر وهو شخصية محبوبة جداً وتحظى بحب الناس وتقديرهم.

تتكشف تفاصيل قضية رحيل الطبيب مع العقيد يوسف الذي يفتح العديد من التحقيقات والشكوك بمساعدة المحقق الشاب أمجد الذي جسد شخصيته الفنان مكسيم خليل المواكب للتكنولوجيا وعبر انكشاف الكثير من الأحداث تتراكم المواقف الإنسانية والمشاعر الحقيقية في كل دقيقة من متابعة حياة الطبيب المنتحر.

الجدير ذكره أن فيلم «صديقي الأخير» من تمثيل الفنانين لورا أبو أسعد، أندريه سكاف، هبة نور، سوسن أرشيد، جمال العلي، جرجس جبارة، فادي صبيح، عائشة بن أحمد، مازن عباس، مأمون الخطيب، عوض قدرو، كرم شعراني، بينما مدير التصوير وائل عز الدين، مونتاج سيمون الهبر، موسيقى نديم مشلاوي، ديكور غيث المحمود، وهو من إنتاج المؤسسة العامة للسينما بالتعاون مع شركة فردوس دراما.

يشار إلى أن «لمسة وفا» هي مبادرة إنسانية تنموية تضم مجموعة من سيدات دمشق من خلفيات متنوعة يملكن تعددية في الخبرات والآراء والاهتمامات التزمن بهدف واحد هو التحرك من أجل اتخاذ وضعهن الطبيعي في هكذا أزمة والتوجه نحو العمل الإنساني ومساعدة المحتاج وبث روح التشاركية في العمل الإنساني الاجتماعي التنموي في سورية الحبيبة.

عبد النبي حجازي
أخيراً صوت الليل يمتد بعيداً

وسام كنعان – الأخبار اللبنانية

لم يكتب للرجل الاستمرار في الشهرة في أيامه الأخيرة، لكنه خلال سنوات طويلة ترك إرثاً فنياً نفيساً. في بيئة مثقلة بالفقر والموروث الاجتماعي المتخلف ولد الراحل سنة ١٩٣٨ في جيرود، القرية الوادعة على بعد ٥٥ كلم عن دمشق، لذا لم تحظ باستقلالية ولم تتمكن من التبعية لدمشق، فعاشت تقريباً على الهامش، لكن عبد النبي حجازي عرف كيف يحول هذه البيئة الراكدة إلى بركان متفجر من الإبداع، فطوع قصص وتاريخ بلدته في حكاياته ورواياته التلفزيونية، التي قوبلت برضى جماهيري، وصنعت لصاحبها شهرة ومكانة في عالم الابداع السوري.

استفاد الكاتب الراحل من سفره الطويل في شاسع الأراضي السورية، وخاصة في مناطقها النائية، كما استفاد من احتكاكه المباشر مع الناس لكونه كان يعمل في التعليم، وقد تخرج من جامعة دمشق قسم اللغة العربية قبل أن يتفرغ لعمله في «اتحاد كتاب العرب» وقبل أن يرأس مجلة «الأسبوع الأدبي» لفترة طويلة. كل تلك الرحلات التي وصلت إلى أقاصي الجزيرة السورية تركت بصمتها على فن القصة القصيرة الذي أنتجه، ومن ثم عدد من الروايات وصولاً إلى السيناريو التلفزيوني.

هكذا، تمكن حجازي أن يخلق فرجة أدبية بسمة ريفية خاصة تشبه إلى حد كبير بيئته التي ولد وعاش فيها وتتقاطع في بعض مفاصله إلى حد كبير مع حقيقة هذه البيئة وتاريخها الحافل. وهو ما بدا جلياً في مسلسل «الهراس» (١٩٨١) الذي أخرجه علاء الدين كوكش، وأدى بطولته طلحت حمدي وملك سكر. كذلك قدم مجموعة قصصية بعنوان «حصار الألسن» (١٩٧٩). أما في فن الرواية، فقد قدم عدة أعمال منها: «قارب الزمن الثقيل» (١٩٧٠) و«السنديانة» (١٩٧١) و«الياقوتي» (١٩٧٧) و«الصخرة» (١٩٧٨) و«المتألق» (١٩٨٠) و«المتعدد» (١٩٨٢)، وأخيراً «صوت الليل يمتد بعيداً» (١٩٨٩)، الذي كان يـأمل أن يحوله مسلسلاً تلفزيونياً أو فيلماً سينمائياً بشراكة صديقه المخرج هيثم حقي، لكن لم يسعفه الوقت ولا الظرف، علماً أنه سبق له شراكة حقي في مسلسل «هجرة القلوب إلى القلوب» (١٩٩٠)، من بطولة سمر سامي وأسعد فضة وهاني الروماني وأيمن زيدان وجمال سليمانوعباس النوري، وقد كان من أول الأعمال التي اشتهرت بها الدراما السورية، أتبعه بشراكة ثانية مع حقي في «الأيام المتمردة» (٢٠٠٠).

في موازاة ذلك تبوأ حجازي منصب المدير العام للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون ما بين ١٩٨٨-١٩٩٦، فآمن آنذاك بقدرة سورية على إجادة صناعة تلفزيونية متطورة، واتخذ قرارات مصيرية على مسؤوليته الشخصية، مدعوماً من صديقه الوزير السابق محمد سلمان، لتبدأ الدراما التلفزيونية في عهده خطواتها الأولى نحو الانتشار، رغم أن التلفزيون كان المنتج الوحيد آنذاك، قبل أن يدخل القطاع الخاص إلى الميدان.

بعد تقاعده اعتكف عبد النبي حجازي بين منزله في دمشق وفيلته في جيرود، وبنى علاقة ودية مع أبناء قريته، وتفرغ لكتابة عمود أسبوعي على الصفحة الاخيرة من جريدة «الثورة» الرسمية، حتى إن بائع الصحف الوحيد في قريته كان يقص مقاله ويعلقه على واجهة محله ليتنسى لجميع المارة قراءته.

مع انتشار خبر وفاته سارع «شيخ المخرجين السورين» هيثم حقي إلى نعي الراحل على صفحته الشخصية، مشيراً إلى أنه فقد أحد أهم الكتاب السوريين، مضيفاً بالقول: «اعذرني يا صديقي لن أستطيع وداعك إلى مثواك الأخير، فقد تحسّرت قبلاً على عدم وداع خال أولادك نجم سورية الكبير والصديق الغالي خالد تاجا.. لكن لي عزاء ببناتك وأبنائك الرائعين.. أليسوا أبناء رجل خرج من أعماق الريف ليكون أحد صنّاع الدراما السورية المتميزين؟».

منذ سنوات راح المرض يحوّم حول صاحب «هجرة القلوب إلى القلوب»، ثم أخذ يشتد عليه، وخاصة عندما ودع شقيق زوجته النجم خالد تاجا، فلم يقوَ يومها على الوقوف لأخذ التعازي برفيق دربه، ومنذ حوالى شهر ونصف شهر دخل حجازي في غيبوبة لم يفق منها أبداً، فبعدما قطع حصة يسيرة من النضال والتعب قرر ترك الدمار السوري خلفه، والرحيل إلى الأبد.

الفيلم السوري «مريم» أغلق شوارع وهران بحضور شعبي منقطع النظير

النجمة ميسون أبو أسعد من فريق العمل المتواجدة في وهران للمشاركة في مهرجان وهران للفيلم العربي، قالت: «إن النجاح الجماهيري الذي حققه عرض فيلم «مريم» في المهرجان قد فاق كل توقعاتنا، فقد امتلأت صالة السينما، ليبقى خارج الصالة الكثيرون منتظرين إمكانية الدخول». وتابعت ميسون حديثها قائلة: «لقد أحاطتنا وهران وأهاليها بحبّ صادق، لدرجة أننا شعرنا وكأننا نعرض في دمشق».

وعن توقعاتها لما يمكن أن يحصل عليه فيلم «مريم» في المهرجان، قالت أبو أسعد: «دعونا لا نستبق الأمور.. على كل حال فقد حصلنا من الجمهور الوهراني الرائع على الجائزة الحقيقية».

وفي تقرير لجريدة القبس حول العرض قالت: ربما يكون من السابق للأوان التنبؤ بنتائج مهرجان وهران للفيلم العربي، ولما تمض على انطلاقته سوى ثلاثة أيام، ولكن النقاد والإعلاميين سبقوا اللجنة المعنية بالأفلام الطويلة وتنبؤوا بفوز «فيلم مريم»، للمخرج السوري باسل الخطيب، الذي عرض ليلة أمس الأول ضمن مسابقة الأفلام الطويلة، والشواهد تؤيد هذا الرأي وتسنده، فقاعة سينما المغرب، حيث عرض الفيلم، امتلأت عن آخرها، مما اضطر مسؤولي السينما إلى إغلاقها لأن العدد اكتمل.

من الطرائف التي رافقت هذا الزحام أن أغلق شارع الأمير عبدالقادر، الذي يقع فيه مبنى السينما، ولأن هذا الشارع يعتبر الشريان الحي لمدينة وهران التجارية، أغلقت الشوارع الضيقة القريبة من الشارع، وهي المرة الأولى التي يحدث مثل هذا الأمر.

يتحدث فيلم مريم عن حالة إنسانية تمثلت في ثلاث شخصيات نسائية اسمهن جميعهن مريم، وبين هؤلاء الثلاث سنوات طويلة، الأولى سنة ١٩١٨ والثانية ١٩٦٧ والثالثة ٢٠١٢، وفي امتداد السنوات بين هذه النسوة الثلاث يختلف الزمان، ولكن المأساة واحدة هي «الحرب».

استخدم المخرج باسل الخطيب تقنية عالية الجودة، مدعومة من المؤسسة العامة للسينما في سورية، صاحبة إنتاج هذا الفيلم، فيما احتوى على كمية كبيرة من المشاهد التراجيدية.

وقال مخرج الفيلم الخطيب إنه يريد أن يقدم شيئا عن الأحداث في سورية، فقدم هذا الفيلم، ويتمنى لو يكون له دور في التخفيف عن السوريين.

حضر نجوم الفيلم العرض، ومنهمأسعد فضة وصباح جزائري، ميسون أبو أسعد، ديما قندلفت، وغابت سولاف فواخرجي عنه، كما حضر العرض أكثر من ثلاثين قناة تلفزيونية، وسجل العرض رقماً قياسياً في حضور الجمهور لأفلام المهرجان.

رواية «إبرة الرعب» للروائي السوري هيثم حسين

لمياء العبدالله

صدر حديثاً للروائيّ السوري هيثم حسين رواية «إبرة الرعب» عن منشورات ضفاف في بيروت، والجزائر. تتناول الرواية عدّة موضوعات من خلال محاور متداخلة، منها التعرّف المغلوط إلى العالم، والردّ العنيف على الظلم اللاحق بالشخصيّة، ومحاولة الشخصية الانتقام لتاريخ مديد، ثمّ الدخول في تفاصيل الفساد والتهميش والإتجار بالبشر، والتحوّل الجنسيّ، وبعض ممهّدات التطرّف، ودور بعض السوريّين في الحرب الأهلية اللبنانية، وكلّ ذلك في سياق روائيّ، يصوّر عدّة أمكنة، ابتداء من قرية نائية في شمالي شرقي سورياً ومروراً بدمشق وريفها وصولاً إلى بيروت. وقد اعتمد الكاتب في هذه الرواية تعدّد أصوات الرواة، وحاول الخوض في موضوعات إشكاليّة خطيرة، متجاوزاً الخطوط الحمر التي تفرضها الأنظمة السياسيّة أو المنظومة الاجتماعيّة.

ترصد الرواية مشاركة الكرديّ السوريّ في الحرب الأهليّة اللبنانيّة عبر بعض الشخصيّات، وتأثير ذلك على ضفاف المجتمع الكرديّ، ثمّ المشاركة لاحقاً ببعض الكوارث التي خلّفها قسم من الجيش السوريّ في لبنان، وبخاصّة الممارسات الشائنة التي أساءت كثيراً للناس. وتحضر في السياق بدايات الاصطدام بالذهنيّة الاجتماعيّة والتحريمات المفروضة والقيود المكبّلة لحرّيّة الأفراد.

وهيثم حسين ناقد وروائيّ سوريّ مقيم في إسطنبول، وولّد في الحسكة/ عامودا ١٩٧٨م. له عدّة أعمال روائية ونقدية منها: «آرام سليل الأوجاع المكابرة»، ط١: دار الينابيع، السويد ٢٠٠٦، ط٢: دار النهرين، دمشق ٢٠١٠. «رهائن الخطيئة» ط١: دار التكوين، بيروت – دمشق ٢٠٠٩. النقد الروائيّ: «الرواية بين التلغيم والتلغيز»، ط١: دار نون، سوريا ٢٠١١. «الرواية والحياة» صدر ككتاب مرفق مع مجلة الرافد الإماراتية عدد مارس ٢٠١٣م. الترجمة: «مَن يقتل ممو..؟» مجموعة مسرحيّات مترجمة عن الكردية. دار أماردا، بيروت ٢٠٠٧، وله تحت الطبع: «الروائيّ يقرع طبول الحرب». «الشخصية الروائية».

شخصية سورية.. شكري القوتلي

عندما تنازل الرئيس السوري شكري القوتلي عن الحكم للرئيس المصري جمال عبد الناصر لصالح مشروع الوحدة بين القطرين العربيين؛ الذين توحدا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة، أراد الرئيس القوتلي (الذي أصبح اسمه المواطن العربي الأول) أن يمازح الرئيس جمال أثناء تهنئته بهذه الوحدة وبرئاسته للجمهورية العربية المتحدة الوليدة؛ فقال له:

«أسلّمك شعباً، ثلثاه زعماء، والباقي أنبياء، أعانك اللّه على قيادته».

يُعد شكري القوتلي واحدًا من أبرز دعاة الوحدة العربية في العصر الحديث، وأحد أبطال التحرر في العالم العربي، وقادة حركة المقاومة ضد الاستعمار البغيض، الذي جثم على صدر الأمة العربية دهرًا طويلاً، وعاق بقيوده العالم العربي عن مواكبة ركب التقدم والرقي.

وظل شكري القوتلي رمزًا للمقاومة والصمود ضد المستعمر، ولم تجدِ معه كل محاولات التهديد والابتزاز، ولم يوهن السجن من عزيمته، ولم ترهبه ظلال المشنقة التي لاحت أمام ناظريه ثلاث مرات في حياته المليئة بالنضال والكفاح، حتى تحقق حلمه الكبير، ونالت سوريا استقلالها، وأصبح القوتلي أول زعيم وطني تولى رئاسة الجمهورية السورية.

مولد القوتلي ونشأته

وُلد شكري محمود عبد الغني محمد اسعد حسن القوتلي في [١٧ من إبريل الأول ١٣٠٩ هـ الموافق ٢١ من أكتوبر ١٨٩١م] في مدينة دمشق ، ونشأ في بيت عريق عرف بالصلاح والتقوى والاستقامة، وكانت أسرته قد نزحت – منذ نحو ستة قرون قبل ميلاده- من الحجاز إلى بغداد إلى دمشق، وحظيت بمكانة بارزة في المجتمع العربي،حيث عملت في التجارة والزراعة وأصابت ثروة وسمعة طيبة نظرا لاستقامة أعضائها وصدق معاملتهم ونالت تقدير واحترام الملوك والحكام، ليس في سوريا فحسب، وإنما في الوطن العربي كله، حتى إن الخديوي إسماعيل حينما دعا حكام الدول والرؤساء والشخصيات الكبيرة لحضور الاحتفال بافتتاح قناة السويس سنة [١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩م] كان محمد سعيد القوتلي -شقيق جد شكري القوتلي- في طليعة المدعوين من الشخصيات العربية البارزة.

ونشأ القوتلي - منذ صغره- محبًا للغة العربية، وبعد أن حصل على الشهادة الابتدائية في مدرسة الآباء العيزرية بدمشق التحق بثانوية عنبر في (دمشق)؛ حيث أتمّ دراسته الثانوية فيها، ثم اشترك في مسابقة للكلية الشاهانية في إستانبول – وهي أرقي مدرسة للعلوم السياسية والإدارية في الدولة العثمانية - فكان ترتيبه الخامس بين (٣٥٠) طالبًا من الناجحين، فالتحق بالكلية الشاهانية سنة [١٣٢٦هـ الموافق ١٩٠٨م]، وتخرج منها يحمل الليسانس في العلوم السياسية عام ١٩١٢

من الجامعة إلى المشنقة

وفي أثناء فترة دراسته بالكلية كان النشاط العربي قد بدأ على نطاق واسع، وتأسس المنتدى الأدبي الذي ضم نخبة من الشباب العربي الوطني المتحمس، وكان منهم شكري القوتلي الذي استطاع هو وإخوانه أن يوطدوا أقدام المنتدى.

وبعد أن أتم دراسته في استانبول عاد القوتلي إلى دمشق سنة [١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م]، كما اشترك أيضًا في جمعية «العربية الفتاة» التي انتشرت انتشارًا واسعًا، وفي الاستانة انضم شكري القوتلي إلى جمعية (العربية الفتاة) السرية، القائمة على الدعوة إلى تحرير العرب، ومقاومة ما تعمل له جمعية (تركيا الفتاة) من تتريك العناصر العثمانية ، وكانت تعمل على نشر الفكرة العربية، وتدافع عن مصالح العرب وحقوقهم وقد أدى نشاط القوتلي وبعض زملائه من

أعضاء الجمعية إلى القبض عليهم وإيداعهم في السجن، وُشي به في الحرب العالمية الأولى عقب الانتهاء من مجزرة المجلس العسكري العثماني ببلدة عالية انضم ولكنهم ما لبثوا أن أطلقوا سراحه بغية مراقبته حتى يصلوا إلى أماكن بقية رفاقه، وفطن القوتلي إلى ذلك، فأخذ الحذر، ولم يتصل بأحد منهم، وعندما يئسوا من نجاح خطتهم اعتقلوه ثانية، وأودعوه سجن «خالد الباشا» بدمشق، ومورس معه ومع زملائه أشد ألوان التعذيب والتنكيل، فكان بعضهم يذكر أسماء أعضاء الجماعة تحت وطأة التعذيب

وخشي القوتلي أن يضطر إلى ذكر أسماء الأعضاء الذين يعلمهم جميعًا، ولم يجد أمامه إلا الانتحار، واستطاع الحصول على موسى فقطع به شريانه، وكتب رسالة بدمه وجهها إلى جمال باشا السفاح يحذره فيها من مغبة الظلم، وغاب عن وعيه إلا أن حارسه انتبه بعد أن رأى الدم يسيل بغزارة من شريانه المقطوع، وأسرع رفيقه في السجن الدكتور «أحمد قدري» فأنقذه من الموت في آخر لحظة، وتم نقله إلى المستشفى؛ حيث مكث به شهرًا للعلاج، ثم أعيد إلى السجن، وقُدِّم إلى المحاكمة أمام المجلس الحربي فحكم عليه بالإعدام

القوتلي رئيساً لسوريا

على أثر دخول الديغوليين سورية في الحرب العالمية الثانية، كان القوتلي السياسي الأكثر شعبية، وبعد وفاة تاج الدين الحسني رئيس الجمهورية بالتعيين، قاد القوتلي معركة الانتخابات بقائمة موحدة في سائر البلاد، وبالتئام مجلس النواب انتخب رئيساً للجمهورية في ١٩٤٣/٨/١٧، وهو أول زعيم وطني تولى رئاسة الجمهورية السورية

وفي [١٥ من شعبان ١٣٦٢ هـ= ١٧ من أغسطس ١٩٤٣م] انتخب شكري القوتلي رئيسًا للجمهورية بالإجماع، وانتقلت سوريا إلى مرحلة جديدة نحو الحرية والاستقلال

وتوالت الاعترافات الدولية باستقلال سوريا من جميع دول العالم عدا فرنسا التي لم تعترف إلا بعد مُضي أكثر من ثلاث سنوات

واجتمع الرئيس القوتلي بالمستر تشرشل -وزير خارجية بريطانيا- في [ربيع الأول ١٣٦٤هـ= فبراير ١٩٤٥م]، ودار البحث طويلاً حول ضرورة التفاهم مع فرنسا، لكن القوتلي أبى أن يعترف لفرنسا بأي حق في سوريا، وأعلن عن استعداده لقيادة الثورة بنفسه إذا رفضت فرنسا الانسحاب من سوريا

وعندما عقد مؤتمر الأقطاب - الذي حضره روزفلت وستالين وتشرشل - لإقرار ميثاق الأمم المتحدة في [٢٨ من صفر ١٣٦٤ = ١١ من فبراير ١٩٤٥م] لدعوة الدول للانضمام إلى هيئة الأمم، وجّهت الولايات المتحدة الدعوة إلى الدول لحضور الاجتماع، وأغفلت سوريا ولبنان بإيعاز من فرنسا، ولكن القوتلي بذل جهودًا كبيرة مع ممثلي الدول العربية والأجنبية، حتى تم توجيه الدعوة إلى سوريا ولبنان لحضور المؤتمر، وانضما رسميا إلى عضوية هيئة الأمم المتحدة، وتمّ الاعتراف بهما دوليًا

دير الزور

هنالك العديد من الآراء حول معنى لفظة «الزور»، فذهب البعض للقول أنها من زئير الأسد لانتشار هذا الحيوان فيها سابقًا، وقال البعض أن لفظة «زور» من ازورار أي مال واعوّج لازورار نهر الفرات عند موضع المدينة ، من غير المعروف على وجه الدقة تاريخ استيطان الإنسان للدير، غير أنها كانت ومنذ العصر السلوقي بلدة صغيرة على نهر الفرات

خرجت المظاهرات في مدينة دير الزور منذ ١٥ اذار ٢٠١١، الذي كان اليوم الأوّل في حركة الاحتجاجات الأخيرة المُطالبة بإسقاط النظام السوري, وبعدها بشهر، خرجت مُظاهرة كبيرة في ١٥ نيسان بالمدينة نادت بالحرية. وبعدها أصبحت المُظاهرات تخرج بالمدينة بشكل منتظم. في يوم الجمعة ٣ حزيران أزالت قوات الأمن صنماً لباسل الأسد من وسط المدينة إثر مُحاولات المحتجين المناهضين للنظام لتحطيمه. استمرّت مظاهرات المدينة بالتصاعد تدريجياً، حتى بلغَ عدد المتظاهرين فيها في «جمعة أحفاد خالد بن الوليد» يوم ٢٢ يوليو أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ شخص، وسط غياب تام للتواجد الأمني في المدينة. ٢٨ تموز بدأت أوّل حملة أمنية على ديرً الزور لإيقاف حركة

الاحتجاجات فيها، حيث اقتحم الأمن والجيش «حيّ الجويقة» وأطلقا النار فيه على الأهالي مُتسببين بسُقوط ٦ قتلى وعشرات الجرحى، ثمّ بدأ الجيش بقصفه مُستخدماً الدبابات. لكن إحدى كتائب الجيش انشقّت واشتبكت مع الأمن العسكري.

معلولا

مدينة سورية تقع في شمال غرب دمشق على بعد ٥٠ كم، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ١٥٠٠ متر. اسمها يعني المكان المرتفع ذو الهواء العليل حسب اللغة السريانية التي ما زال سكان معلولا يتحدثون بها.

تشتهر بوجود معالم مسيحية مقدسة ومعالم قديمة مهمة يعود تاريخها للقرن العاشر قبل الميلاد. كما أن سكانها من المسيحيين والمسلمين ما زالوا يتكلمون باللغة الآرامية (السريانية) لغة المسيح حتى اليوم بجانب اللغة العربية تحتوي معلولا على معالم تاريخية متفردة أهمها الاديرة والكنائس والممرات الصخرية وعلى أثار مسيحية قديمة وهامة في تاريخ المسيحية منها كنيسة بيزنطية قديمة وأضرحة بيزنطية منحوتة في الصخر في قلب الجبل، كما يوجد فيها دير مار تقلا البطريركي. تتميز بيوت بلدة معلولا بارتفاع بعضها فوق بعض طبقات بحيث لا تعلو الطبقة الواحدة منها أكثر من ارتفاع بيت واحد لتتحول بذلك سطوح المنازل إلى اروقة ومعابر لما فوقها من بيوت لتكون ذات طابع متميز.

بعضٌ من قوقعة مصطفى خليفة- التنفس

في السجون الأخرى التنفس هو حيز زمني يخرج فيه السجين من مهجعه إلى ساحة هواؤها نقي، بها بعض الملاعب فيتريض، معرضة للشمس فيتشمس... يأخذ حاجته من الهواء والشمس والحركة. هنا ... قبل التنفس يكون السجناء في المهجع قد انتظموا في طابور متلوٍ بعضهم خلف بعض، تفتح الشرطة الباب، يخرج الطابور بخطوات بطيئة، الرؤوس منكسة إلى الأسفل، العيون مغمضة، كل سجين يمسك بثياب الذي أمامه، عناصر الشرطة والبلديات يحيطون بالساحة وينتشرون بها بكثافة، يسير الطابور سيراً بطيئاً أو سريعاً حسب مزاج وإرادة الرقيب. الاثنين والخميس يومان مختلفان عن بقية أيام الأسبوع هنا. في هذين اليومين تتم الإعدامات، لذلك عندما نخرج للتنفس في هذين اليومين تكون كمية التعذيب والضرب أكثر من غيرهما من الأيام، وفي التنفس يكون الضرب غالباً على الرأس: - ولا كلب... ليش عم ترفع راسك؟! ويهوي الكرباج على الرأس. - ولك ابن الشرموطة !!.. ليش عم تفتح عيونك من تحت لتحت ؟!! ويهوي الكرباج على الرأس. في الصيف يكون التعذيب أقل. حرارة الشمس التي تثقب رؤوسنا تجعل عناصر الشرطة في حالة تكاسل وعدم ميل للحركة، في الشتاء يشتدّ التعذيب. أحياناً وبينما الطابور يدور يتجمع بعض عناصر الشرطة حول الرقباء، تدور بينهم أحاديث لا نسمعها، يصبح مزاجهم فجأة أميل للتسلي بنا، يصرخ الرقيب: - ولا حقير... أنت أنت يا طويل... أطول واحد بالصف، تعال هون... يركض أحد البلديات ويجر أطول واحد بيننا، طوله أكثر من مترين، الرقيب جالس على كتلة إسمنتية أشبه بالكرسي، يضع رجلاً على رجل، يشد صدره يرجع رأسه إلى الوراء والأعلى، يقول: - ولا حقير .. أنت بني آدم ولا زرافة؟ يضحك المتجمعون حوله بصخب، يتابع الرقيب: - وهلق ... اركض حول الساحة خمس دورات وطالع صوت متل صوت الزرافة ... يالله بسرعة. يركض السجين ويصدر أصواتاً، لا أحد يعرف كيف هو صوت الزرافة، أعتقد حتى ولا الرقيب نفسه، يدور السجين خمس مرات، يتوقف، يقول الرقيب: - ولا حقير ... هلق

بدك تنهق متل الحمار! ينهق السجين الطويل. تضحك الشرطة. - ولا حقير... هلق بدك تعوي متل الكلب! يعوي السجين الطويل. تضحك الشرطة. يضحك الرقيب وهو يهتز، يقول: - ولا حقير... إي ... إي ... هاي ناجحة وكويسه ... أنت متل الكلب فعلا. ثم يلتفت إلى رتل السجناء الذي يسير منكس الرؤوس ومغمض العينين، يصيح: - ولا حقير... أنت أنت... أقصر واحد بالصف ، تعال هون. يركض أحد البلديات، يجر أقصر واحد بالرتل. شاب صغير لا يتجاوز الخامسة عشر، طوله أكثر قليلا من المتر والنصف، يقف أمام الرقيب الذي يضحك ويقول: - ولا حقير... يا زْمِكّ ... وقف قدام هالكلب الطويل. يقف السجين القصير أمام السجين الطويل، يصرخ الرقيب: - ولا حقير ... يا طويل ... هلق بدك تعوي وتعض هالكلب يللي قدامك وبدك تشيل قطعة من كتفه ، وإذا ما شلت هـ القطعة ... ألف كرباج. يعوي الطويل ثلاث أو أربع مرات متواصلة، يتقدم من القصير وينحني مطبقا بفكيه على كتف القصير الذي يصرخ ألماً ويتملص من العضة. - ولا حقير... يا طويل... وين قطعة اللحم ؟ يا شرطة ... ناولوه. ينهال رجال الشرطة بكرابيجهم ضرباً على الطويل، يسقط على ركبتيه، يتساوى بالطول مع القصير وهو جاثٍ ... يترنح ... يصرخ الرقيب: - بس ... " تتوقف الشرطة عن الضرب " ...

ولا حقير ... طويل ... قوم وقف. يقف الطويل. - ولا حقير... قصير... وقف وراءه. يرجع القصير إلى خلف الطويل. - وهلق انتوا الاثنين اشلحوا تيابكم. يخلع الاثنان ثيابهما ويبقيان بالسراويل. - ولا حقير قصير... نزل سرواله. ينزل القصير سروال الطويل الى حد الركبتين. - ونزل سروالك كمان. ينزل القصير سرواله أيضا. - وهلق ... قرب نيكه ... اعمل فيه متل ما بتعملوا ببعضكم كل ليلة يا منايك ... يا اللّه قرب نيكه. يتلكأ القصير، تشتد إليتا الطويل وتتشنج، يشير الرقيب إلى أحد عناصر الشرطة، يقترب هذا ويهوي بالكرباج على ظهر القصير ... يلتصق القصير بالطويل من الخلف، يهتز الطويل، عضو القصير المتدلي بالكاد يصل فوق ركبتي الطويل، يضحك الرقيب وباقي عناصر الشرطة. الرتل يسير. الرؤوس منكسة، العيون مغمضة، رغم ذلك، الكل يرى، الكل يسمع.... وترتفع بيادر الحقد والذل. يطلب الرقيب تبديل المواقع، يصبح الطويل خلف القصير، عضوه المرتخي والمنكمش في منصف ظهر القصير... يستمر الضحك ... الرتل يسير، الرؤوس منكسة، العيون مغمضة. تنفس آخر، يوم آخر، رقيب آخر، شرطة آخرون، بلديات آخرون، السجناء أنفسهم، زادوا قليلا، نقصوا قليلا. يجلس الرقيب على الكتلة الاسمنتية ذاتها، يضع رجلاً على رجل، يصيح وهو ينظر إلى الرتل الذي يسير برؤوس منكسة وعيون مغمضة: - جيبوا لي هـ البغل ... السمين. يأتون برجل أربعيني بدين، يعرف الرقيب منه اسمه واسم مدينته، كم أمضى في السجن ... وتفاصيل أخرى، ثم يسأله: - أنت متزوج ولاّ أعزب؟ - متزوج سيدي. - أنت بتعرف شو عم تساوي زوجتك هلق ... ولا ... أنا بقلك، أكيد عم تشرمط، أنت صار لك ثلاث سنين في السجن ... وهي كل يوم مع واحد جديد. السجين ساكت، منكس الرأس مغمض العينين، يتابع الرقيب: - ليش ساكت ؟! ... احكي ... وإلا خجلان تقول قدام الشباب انك متجوز واحدة شرموطة ؟!... شو العرصات كمان بيخجلوا؟! تمضي الأيام، يتبدل الرقباء، لكن الأساليب تبقى نفسها ... الزوجة الشرموطة، إذا لم يكن السجين متزوجا تصبح ... الأخت الشرموطة، أو حتى الأم الشرموطة، البنت الشرموطة إذا كان للسجين بنات. " كنت أتساءل : هل هي تسلية فقط أم أنها نهج ؟! ... الدافع للتركيز على هذا الموضوع هل هو عقد الجنس والكبت الشرقية لدى الرقباء يفرغونها من خلال السلطة التي يملكونها على السجناء؟! ... أم هو نهج مدروس الغاية منه تحطيم الإنسان وإذلاله من خلال المرأة باعتبارها أعلى قيم الشرف لدى المسلمين سواء كانت زوجة أو أختاً أو أماً أو أية قريبة أخرى ؟!... وشرف المرأة لدى الشرقيين بالعام هو أن لا تمارس الجنس خارج نطاق الزوجية، وأي سلوك لها في هذا الاتجاه قد يدمر العائلة بالكامل ويلحق بها العار.

تطبيق الشريعة في المناطق المحررة

توماس بييريه

في تشرين الثاني ٢٠١٢، أسس ثوار سوريون «هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (وهو نفس اسم الشرطة الدينية في السعودية) في مدينة الباب في حلب. في آذار من السنة التالية، عاتب الشيخ معاذ الخطيب رئيس «الائتلاف الوطني» جماعات ثورية متطرفة علناً على حظرها التدخين في بعض المناطق، وعلى إعدامهم امرأة بتهمة «الفاحشة» كذلك.

يبدو أن مثل هذه التطورات ترسّخ الفهم الشائع في الغرب عن تطبيق الشريعة، باعتباره فرضاً ثقيلاً لنمط حياة إسلامي. ذلك جزء من الواقع لا يمكن إنكاره. لكن إقامة الشرع الإسلامي في المناطق التي يحكمها الثوار أكثر من مجرد نزعة لفرض الأخلاق على الناس. في الحقيقة الاهتمام بذلك هامشي بالمقارنة مع قضايا أكثر إلحاحاً كالحاجة لإعادة بناء مؤسسات الدولة ولاستعادة حد أدنى من القانون والانضباط.

ثمة نقطة ثانية، أنه بالرغم من أن إقامة الشرع الإسلامي في سوريا أدّت لبعض التوتّرات والخلافات، إلا أنه يصعب ربط ذلك بانقسام بين قانون علماني وقانون إسلامي، فثمة إجماع واسع على مبدأ النظام القانوني المستمدّ من الشريعة. بالأحرى تنشأ الصراعات من تنافس مشاريع بناء المؤسسات، التنافس الذي تعززه نزاعات عسكرية وقضاء ماضٍ نحو مزيد من الاستقلال.

مفهوم الشريعة ليس جديداً في التشريع السوري. الدستوران اللذان أقرهما حكم آل الأسد (١٩٧٣-٢٠١٢) تقول المادة الثالثة لكل منهما أن «الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع». لكن بالممارسة كان النظام القانوني معلمناً بشكل كبير: بعد تبنّي قانون جزائي وتجاري ذي روح أوربية، عام ١٩٤٩، وحده القانون المدني (الأحوال الشخصية) بقي مبنيّاً على الشريعة.

نتيجةً للصحوة الإسلامية أواخر القرن العشرين، بالإضافة لأزمة الثقة التي حلت بنظام البعث ومؤسساته، صار يُعتبر البناء القانوني العلماني السائد غير شرعي بالنسبة لعدد متنام من السوريين – بما في ذلك أعضاء في السلطة القضائية، والتي لطالما كان فيها جناح محافظ قوي. أكبر مثال لذلك الوضع كان تسريح قاضٍ عام ٢٠١٠ كان قد اتصل بالشيخ المصري-القطري يوسف القرضاوي خلال برنامجه الأسبوعي على قناة الجزيرة وسأله إن كان يجوز له العمل في محكمة تطبّق قوانين وضعية تعارض الشريعة.

أكثر من ذلك، أدى ارتياب الناس بالقضاء الرسمي إلى مواصلة، وربما إحياء، عادة تحكيم المشايخ، لتسوية نزاعات بين تجار مثلاً. لذلك، حين انسحبت قوات الأسد من أرجاء واسعة في محافظات الشمال والشرق (إدلب، حلب، دير الزور، الرقة) منذ منتصف ٢٠١٢، ظهر إجماع واسع في المجتمعات الأهلية على إعادة بناء النظام القضائي على أساس إسلامي. الإجماع على هذا المشروع كان الأكثر وضوحاً، باعتبار أن هذه المناطق هي الأكثر محافَظةً في البلاد، وهي مسلمة سنية إلى حدّ كبير.

بعد انسحاب قوات النظام، تنامى سريعاً الشعور بالحاجة لإعادة بناء مؤسسات القضاء، لسببَين. أولاً، المجتمعات المحلية كانت تبحث عن حماية من الانفلات الأمني الذي تلا انهيار سلطة الدولة، خصوصاً ابتزاز عصابات مجرمة وجماعات ثورية مارقة. السبب الثاني هو أن الجماعات الثورية نفسها كانت بحاجة إلى سلطة قادرة على التعامل مع أسرى الحرب –الذين كان يجري إعدامهم بلا محاكمة– وعلى الفصل فيما بينها عند تقاسم الغنائم. فقط بعد ذلك بدأت سلطات قضائية مؤسسة حديثاً بفرض الأخلاق على الناس، في ظاهرة ظلت حتى الآن محدودة ومحلية في محافظتَي إدلب وحلب، تم بالتدريج دمج محاكم محلية مؤسسة حديثاً في نظام هرمي موحّد على مستوى المحافظة.

كان هناك اتفاق في المبدأ أيضاً أن المحاكم المحلية ستطبّق «القانون العربي الموحد»، وهو قانون مستمدّ من الشريعة اتُفق عليه (ولم يطبَق) من قبل وزراء العدل العرب عام ١٩٩٦.

حصل إجماع واسع أيضاً فيما يخص عدم

تطبيق الحدود (العقوبات الجسدية)، وذلك بعد الاجتهاد الفقهي واسع الصدى أنّ تطبيق الحدود يتطلب حالة سلام بالإضافة إلى دولة شرعية. أكثر من ذلك، المحاكم عموماً تفضّل التحكيم على العقاب، فالقُضاة أساساً مهتمون بصَون الوحدة الاجتماعية، في سياق صار سهل الانفجار إثر تكاثر الجماعات المسلحة. من المفيد التنويه هنا إلى أن أول المؤسسات القضائية بعد الثورة حكمها رجال دين تقليديون ذوو آراء سياسية معتدلة كان يلاحظ في المناطق المحررة حديثاً قلة القضاء المدرّبين، حيث هؤلاء إما مشبوهون باعتبارهم من أنصار النظام أو باقون تحت حكمه في مراكز المدن، أو غادروا البلاد. رجال الدين المسلمون سدّوا ذلك الفراغ، فهم يحظَون باحترام عامّ في المجتمعات الأهلية، وكذلك لأن من «الطبيعي» تقريباً لمحاكم مبنية على الشريعة أن يديرها رجال دين.

لكن خبرة المشايخ كانت بين القليلة والمعدومة فيما يخص الإجراءات القضائية، بل وفيما يخص علوم الدين في بعض المناطق. كثير من العلماء الأكثر اطلاعاً وخبرة كانوا، كالقضاة، مُدانين بسبب دعمهم السابق للنظام أو قد غادروا البلاد. لذلك، كثيراً ما يساعد «القُضاة» شباب خرّيجو شريعة أو محاماة.

رغم أن تأسيس أول محكمة بعد الثورة كان عملية سهلة نسبياً، بالذات لأن فكرة تطبيق الشريعة لم تواجَه بتحديات جدية، إلا أن التوترات ظهرت بسرعة بين مؤسسات قضائية متنافسة. المثال الأشهر كان وما زال ذاك التنافس القائم بين «مجلس القضاء الموحد في محافظة حلب»، الذي يُفترض أن يكون السلطة القضائية الأعلى في المحافظة، و«الهيئة الشرعية» التي تديرها أربع جماعات ثورية إسلامية (لواء التوحيد، حركة أحرار الشام الإسلامية، حركة الفجر الإسلامية، وجبهة النصرة). ورغم أن «الهيئة» أكثر صراحةً في «إسلاميتها»، فإن «المجلس» ليس علمانياً، فهو يطبق «القانون العربي الموحد» إياه، المستوحى من الشريعة، ويخفّف الأحكام الصادرة بحق سجناء إن حفظوا بعضاً من القرآن.

في الحقيقة، النقطة الأساسية في تنافس الجسمَين القضائيين ليست طبيعة القانون الواجب تطبيقه، بل فصل السلطات: فبينما يطمح «المجلس» لتكريس نفسه كسلطة مستقلة، تُشرف مباشرةً على «الهيئة» جماعات مسلحة تتوق للإبقاء على ذراع القضاء. اهتمامهم الأساسي ليس تماماً فرض الأخلاق على الناس –مع أنهم يفعلون ذلك– بل بالأحرى الاحتفاظ بثروة رمزية قيّمة يمكن استخدامها مثلاً في الصراع ضد الثوار المارقين.

في آذار ٢٠١٣، وفّرت «الهيئة» الشرعية الدينية للحملة العسكرية التي نفذتها جماعات مؤسسيها ضد مجموعة «غرباء الشام»، المتهمة بتفكيك المصانع بهدف بيع تجهيزاتها لمشترين أتراك. بعد ذلك بشهور (حزيران ٢٠١٣) أعدمت «الهيئة» قائد «لواء جيش محمد»، الذي قيل إنه عميل للنظام. المثير في الأحداث أنه، بعدما تبيّن أن عملية أيار ضد «غرباء الشام» أكثر صعوبة من المتوقع، عرض «مجلس القضاء الموحد» التوسّط بين «الهيئة» و«غرباء الشام»، مثبتاً نفسه كالوحيد المحايد بين السلطات القضائية في حلب.

تابع «المجلس» بعد ذلك محاولاته مصارعةَ الجماعات المسلحة على القضاء، مثلاً حين أصدر أمراً لتلك الجماعات بتسليم أي أسير إليه خلال ٧٢ ساعة من القبض عليه. لكن طموح المجلس للاستقلال الذاتي محدود بسبب ضعف قوى الشرطة لديه واعتماده المستمر على الجماعات المسلحة لفرض القانون

حقائق ملازمة لقوى الإسلام السياسي!

ماجد الشّيخ

ليس لدى قوى «الإسلام السياسي» بمختلف أطيافها، من تكاتبه أو تجادله، أو تتواصل معه حتى، طالما هي مغلقة ومنغلقة على ذاتها. وهي لهذا السبب لا تحتمل وجود آخر ينافسها في مجالها، أو في أي مجال آخر. كذلك هي لا تريد ولا تعد نظراً لطبيعتها وطبعها، إلا بحكم مستبد غير عادل وغير رشيد. وفي نماذج من قبيل الحكم السلطاني والأنظمة الخليفية وحكومات يديرها «الولي الفقيه» أو تخضع خضوعاً مطلقاً لـ «ترشيدات المرشد» و «ترسيمات الأمراء»؛ ما يكفي لرؤية الحكم الثيوقراطي – التوتاليتاري وهو يخرج من عباءة الدين ليلج إلى عباءة السياسة، وليخرج من عباءة السياسة ليلج إلى عباءة الدين، وهذا وحده كاف لإفشال كل تجربة ومحاولة للمزج بين الديني والسياسي؛ على ما يمكن أن تؤول إليه تجربة الملالي في إيران، وتجربة «العدالة والتنمية» في تركيا، وعلى ما انتهت إليه أخيراً تجربة «الإخوان» في كل من مصر وتونس، وقبلها تجربة «الحكم الإسلاموي» السوداني الذي كان قد توسل الدين في حكم سلطة قسّمت البلد، ونفّرت منها حتى أقرب المقربين تلك حقيقة ملازمة لقوى لا علاقة لها بالسياسة، إلا من حيث أرادتها وتريدها مطية للوصول إلى ما ترتجيه من سلطة الاستبداد الثيوقراطي وتسلطه، في ظل مفاهيم ومعايير لا تساهم في صنع أو خلق فضاء مواطني، أو بشراً أحراراً لا يرتهنون إلا للعقل، ولمفاهيم نقدية تشمل حتى ضرورة إحداث إصلاحات دينية، تتلازم وضرورة إحداث إصلاحات شاملة، وصولاً إلى تغييرات تاريخية لا تبقي ولا تذر؛ من أسباب الإعاقة والانحطاط التاريخي الذي لازم مجتمعاتنا ودولنا وأبقاها في الهامش، تجتر إرثاً وتراثاً لم نساهم نحن أبناء اليوم في صنعه، ولكننا نتبناه بالكامل، ومن دون أي رؤية نقدية تجاهه؛ وتلك قمة الإعاقة التاريخية التي نتردى في قيعانها.

هذا الواقع الموصوف في بلادنا، ليس وليد صدفة تاريخية، بقدر ما هو ناتج تحكم قوى رجعية متخلفة بالسلطة؛ سياسية كانت دينية أو أهلية، وتحكم أيديولوجياتها و هيمنة

العقلية الإسبرطية مرة، والبسماركية مرات، للإبقاء على سلطانية الحكم، وإخضاعية المجتمعات وإرهابية الرؤى والتوجهات؛ كل هذا يستمد من الدين سلطته «الإلهية»، ومن السياسة سلطته الاستبدادية الطغيانية؛ وما بين استبدادين وطغيان المصالح الفئوية والخاصة، لم يبق من تجريب يمكن التعويل عليه، فالكل في السلطة سواء، والكل أمام السلطة يسكر في العماء، لهذا كان لا بد من سقوط الحكم الديني، بعد أن أثبت فشله المطلق في إدارة شؤون الدولة ومؤسساتها، وفي مصر لم يكن هذا استثناءً، فها هو يتكرر ويكرر الأخطاء والخطايا ذاتها في تونس، وفي ليبيا وإلى حد ما في اليمن، وها هم سلطويو «الدولة الإسلاموية» الموعودة في سورية يثبتون أنهم الأولى برعاية منطق الترهيب وقتل المخالفين من أقرب المقربين، وتكفير كل ما عداهم واستحقاقهم القتل والجزر؛ حتى يثوبوا إلى «رشد الحاكم بأمره» ويخضعوا لإرادته ويقدموا له فروض الولاء والطاعة من دون اللّه ورسوله والمؤمنين.

هي المآسي – مآسينا – تجد اليوم من يعيد تكرارها على شكل مهازل تقشعر لها الأبدان، والضمائر الحية التي لم يلوثها استبداد أو طغيان. وكأن لعنة السلطة تنتقل من جيل إلى جيل، لتنبئ بما هو أقسى وأمرّ وأفظع مما رأته الأجيال السابقة أو السالفة، حتى لتبلغ الفظاعات المقبلة جرائم موصوفة ضد الإنسانية، فأي إصلاح أو ثورة أو تغيير يمكن أن يبرر كل تلك الفظاعات التي فاقت وتفوق جرائم الأنظمة المستبدة الحاكمة؟

لقد أحرقت غالبية قوى «الإسلام السياسي» سفنها قبل أن تصل إلى السلطة، وها هي وفي ضوء تجربة صعودها إلى السلطة، باتت تحرق الناس قبل أن تصل بهم إلى شاطئ الأمان المجتمعي والاقتصادي أو السياسي، وهي في الأساس لا ولن تعدهم بغير الحروب الأهلية مطية لها للحفاظ على سلطة لن تدوم، ولن تبقى تنهج نهجها السلمي أو السياسي، طالما هي تعتبر السلطة غنيمتها الخاصة، بصناديق اقتراع أو بغيرها.

هو الانغلاق التعصبي، ذاك الذي جعل العنصرية قاتلة، والتعصب الهوياتي قاتلاً، والأيديولوجيات والعقائد الجامدة والمتخشبة ترتكب أكثر جرائمها فظاعة من دون أن تجد من يحاسبها عليها. فهل ينجو المغالون في «تدينهم» وفهمهم الأحادي والخاص للدين، مما يرتكبون من مجازر لفظية ومعنوية وتأويلية وفعلية وتقويلية، بحق أناس قد يكونون أكثر دراية وعلماً بشؤون دينهم ودنياهم، من جهلة لا يؤمنون إلا بالسيف والساطور والسكين، وحديثاً بالبنادق الرشاشة، وسيلة للحوار والتجادل غير الحر مع الآخر، وكل الآخرين؟

«ومضة كيماوية» الشباب السوري يتحدى الموت والألم بالموسيقى

مدينة البوابات السبع ما زالت تنتعش بسكانها كل يوم. هناك من قرّر أن يلفت النظر إلى استمرارية الحياة مهما حصل. الممثلة السورية الشابة نغم ناعسة فكّرت في مشروع فني بسيط يحاكي الشارع ويخترق خوفه ويسرقه من الأفكار السوداء التي تلاحقه نتيجة اتساع رقعة الحرب في البلاد. هكذا، قرّرت بالتعاون مع الموسقي آري سرحان إطلاق مشروع «ومضة» لتقديم أغنيات سوريّة مكرّسة تعبّر عن الوطن، ولكن في الشوارع والأسواق العامة.

في الوقت الذي تقدم فيه الفرقة عملها، توثّق ناعسة المشاهد بكاميرات فيديو، وترصد ردات فعل المارة بطريقة تشبه مسرح «الحدث المفاجئ» أو «المسرح الخفي» happening. انبعثت الفرقة في سوق الشعلان ثم شارع العابد في الصالحية، ومرّة في الشام القديمة. وفي أحدث عمل لها، وقفت في آخر شارع الحمراء لتقدّم أغنية «موطني» بتوزيع جديد سبقها موّال كتبت كلماته ناعسة. بثت الأغنية أمس على يوتيوب، قبل أن تتسلّل إلى صفحات السوريين الافتراضية ومنهم ناشطون وفنانون معروفون.

وفي تفاصيل الشريط الذي حمل اسم «ومضة كيماوية»، تقف طفلة وهي تلعب حول شجرة بينما يفترش بعض السوريين الأرصفة كما يفعلون عادة، وسط أصوات القصف والطيران، وتعلو أصوات البعض بكلمة «لا مشكلة»، قبل أن تعلن الطفلة بدء العزف بطريقة تشبه الانفجار.

عندها، يبدأ عازف الكلارينيت يزن الصبّاغ بالعزف يشاركه سامح حداد على الكونترباص، ومحمود كنفاني على الإيقاع، وباسيليوس العوّاد على التشيلو، ونذير سلامة على الغيتار. أما الغناء، فتتقاسمه ساندي نحاس مع غيث منصور. أفراد الفرقة وضعوا الكمّامات البيضاء في إشارة واضحة لخطر السلاح الكيميائي الذي استخدم أخيراً في غوطة دمشق وأودى بمئات الضحايا من الأطفال وجعل من سورية فوهة بركان قد تنفجر في وجه عدوان أميركي محتمل.

واللافت أنّ «ومضة كيماوية» عمل عادي يخلو من أي جديد وربما يتقصّد البساطة لأنّه يستمد ميزته وفرادته من تفاعل الناس الذين تحلقوا حول الفرقة، ومن ردات فعلهم وانسجامهم الكلي وتعاطفهم إلى درجة البكاء الذي صنع بعداً درامياً عفوياً وصادقاً للعمل، في حين انتهز عدد كبير منهم اللحظة الخاصة لتسجيلها على هواتفهم الخلوية.

يتحدى الشباب السوري الموت والألم، ويقدّمون الموسيقى بشكل مسرحي مفاجئ في الشوارع، علّه يخترق قلب المارة ويأسرهم لدقائق معدودة ويبعدهم عن التفكير في الموت المحتم!

الإئتلاف الوطني
جنيف 2 بلا شروط